البيعة عند الصوفية

دراسة على ضوء السنة وأقوال علماء الأمة

جمع وإعداد

الأستاذ/علي غريسي

تأليف

علي غريسي

المطبعة

مطبعة سيب SIB

الطريق الوطني رقم48 بلدية كوينين ـ ولاية الوادي

الجزائر

الطبعة الأولى :2014

رقم الإيداع القانوني :

2014 ـ 855

الترقيم الدولي الموحد للكتاب (ردمك)

I.S.B.N

978- 9931- 9121 - 5 - 6 -

مقدمة

الحمد لله رب العالمين . حمد ذاته قبل حمد الحامدين ،ومدح نفسه قبل مدح المادحين ، نحمده سبحانه وتعالى أن منً علينا بأعظم منَة، وجعلنا من خير أمة، وشرع لنا أقوم شرعة وأوضح سنة ،نحمده سبحانه إذ أنطق الألسنة بتوحيده، وأكرمنا بأفضل خلقه وعبيده، نحمده على آلاء ونعماء لم تزل علينا تترى، ونشكره سبحانه عفا عمن هفا تحلما منه وسترا .أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل في خلقنا ما يدل على وجوده، وما يبث من دابة إشارة إلى رحمته و جوده ، خلق الخلق بقدرته فسواهم ،وقدر أقواتهم ثم هداهم ، رحمهم مولاهم فلم يتركهم همًلا ، أسرج لهم العقول وأرسل لهم رجالا كمًلا ،فكان حظنا منهم أعظم الحظوظ ،وشرفنا على الأمم الشرف الملحوظ ،وذلك حين خصنا سبحانه بالرحمة الرحيمة ، والمنة العظيمة ،سيدنا محمد كريم الأبوين وسيد الثقلين ، أول العابدين سجودا ،وأفضل الساجدين شهودا

، ساحة الحق القائمة ، وراية الشفاعة الدائمة ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله عدد خلقه ومداد كلمته، وجزاه عنا خير ما جزى نبيا عن أمته، به هدى الأمة من بعد غيها وطغيانها، وأنار القلوب من بعد ظلمتها ورانها .

هذا ولم تزل حبائل الله تعالى إلى عباده ممدودة ، وألطافه بين الأنام في كل لمحة مشهودة ، فلو ترك الإمداد لحظة لساد الفناء والفساد ،ولو حجب ميراث النبوة حينا لعم الكفر والإلحاد ، لهذا جرت حكمته ، واقتضت مشيئته ،أن يُوجِد في خلقه من يحيي بهم القلوب والأرواح ،ويدلها على طريق الهدى والصلاح ،فكما خلق الله الشمس تمد الأرض بنورها وتحفظها من البوار،فقد جعل العارفين شموسا للقلوب وضياء للأبصار ،فمن تعرض لنورهم استنار ومن أعرض فقد أحل نفسه دار البوار .

العلماء ورثة الأنبياء

يقول الحق سبحانه وتعالى في كتاب هـ العزيز<< ولكل قوم هاد >> [1]. دلت هذه الآية على أن قضية المعلم الهادي والدليل المرشد ضرورة لزومية طبعا وشرعا، ومن هنا أرسل الله الرسل ولم يدع الناس لأفكارهم وحدها وإن سمت وعلت وبلغت ما بلغت فإن العقل محل الخطأ والواقع وتاريخ الفلاسفة والمفكرين والعقلانيين يشهد لذلك، فكانت وظيفة الرسل النصح والإرشاد وتبيين الحق والصواب عندها بان للعقل السليم حاجة الإنسان للوحي والنبوة وأدرك مدى تأثيرهما في صقل الأفكار وتهذيب الفلسفات والأخلاق وما انحرف من جميع المنظومات البشرية وكان على الخلق اتباعهم واقتفاء آثارهم ومحبتهم ونصرتهم وموالاتهم ....وحتى لا ينقطع نور النبوة جعل الله العلماء ورثة للأنبياء بنص الحديث الصحيح [2].فهم تبع للرسل ورثوا عنهم العلم والإرشاد والنصح

[1] سورة الرعد الآية 07

[2] عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول << ....العلماء ورثة الأنبياء ....>> رواه أبو داود حديث رقم 3641

وعلى الناس كذلك اتباع العلماء والورثة الكمل ومحبتهم وموالاتهم ونصرتهم ... نسأل الله تعالى أن يكرمنا ويدخلنا في زمرة أحبها وأكرمها

. فهم وفدي إذا ما حضروا ..... عند بابي يطلبون الزلفا

أعطهم ما سألوني جهـرة ..... وأنلهم من جناني غرفا

الدعوة التامة

يقول الحق سبحانه وتعالى << من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا >>[1]

من هذه الآية الكريمة استنبط أهل المعرفة أن الدعوة إلى الله تعالى تكون أكمل وأتم ما تكون إذا وجد الولي المرشد وعندما يضع الإنسان يده بيد الولي المرشد يكون ذلك أجود ما يكون في باب الهداية إلى الله وإلى طريقه[2].

وإذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام في الأصل هم الهداة الحقيقيين إلى الله تعالى فالأولياء المرشدون هم الوراث الكاملون للأنبياء في باب الدعوة[3]

---

[1] **سورة الكهف الآية 17**

[2] **تربيتنا الروحية / سعيد حوى الباب 15ص 217**

[3] **نفسه ص 217**

ومن هذا المعنى ندرك أهمية وجود الولي المرشد لصلاح الدعوة وكمالها وتمامها،وبفقدانه تكون ساحة الدعوة وميدان الإرشاد أقل في التأثير هذا إن لم نقل أدعى للتنفير.

الولي المرشد

أمرنا الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بصحبة الصادقين فقال << يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين >>[1]

وحتى نكون مع هؤلاء وجب علينا أن نتعرف على صفاتهم والتي قد حددها الله تعالى في كثير من الآيات حيث قال :<< إنما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون >>[2] .

وقال أيضا << ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي

[1] سورة التوبة الآية 111
[2] سورة الحجرات الآية 15

الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا >>[1].

وقال أيضا << للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم

الصادقون >>[2]. والآيات في ذلك كثيرة .

فالصادقون هم أولا مؤمنون ثم تأتي صفة اليقين مباشرة بعد الإيمان فاليقين صفتهم حيث قال سبحانه << ثم لم يرتابوا >> فقلوب الصادقين ملأى باليقين ، وهو من أحسن ما يتصف به الإنسان ومن أعظم ما يلقى في القلوب ومن أعز وأندر ما قسم في الأرض حيث يقول عليه الصلاة والسلام << مانزل في الأرض شيء أقل من اليقين >>[3]

وزيادة على هذه الخصيصة التي اختصوا بها فهم كذلك ـ من باب أولى ـ مصلون مزكون صابرون وافون بالعهود محبون للشهادة كما جاء في الآيات .

---

[1] سورة البقرة الآية 177

[2] سورة الحشر الآية 8

[3] ابن أبي الدنيا /كتاب اليقين حديث رقم 5 ورواه ابن عبد البر من حديث معاذ وأبو حامد الغزالي في الإحياء

والولي المرشد هو المتصف بهذه الصفات جميعا ويربي عليها الناس وإلا فلا يصلح للمعية والصحبة ولا يستأهل مقام الدعوة والإرشاد.

ثم إن مقام المرشد يقتضي أن يكون فقيها في الدين إذ لا تتم الوراثة الكاملة لرسل الله تعالى وأنبيائه مالم يرث عنهم علومهم وفهومهم وأحوالهم وأذواقهم ،وهذا متضمن في قوله سبحانه وتعالى << فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون >> [1]. فالإنذار جزء من مهمات المرشد ولا يتم ذلك كما هو ملحوظ في الآية إلا إذا تقدمه الفقه في الدين ، أما مجرد الولاية وحدها فلا تكفي لأنها جزء من المشيخة وقد يكون الرجل وليا و لكن ليس في مقام المرشد أو الشيخ المربي .

كما أنه يتوجب على الوارث الحقيقي أن يكون حكيما يدعو إلى الله بالحكمة ، والحكمة معنى زائد عن العلم قال تعالى <<ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا >> [2] . والحكمة عطاء من الله تعالى فقد يكون الإنسان عالما بالكتاب وعلومه ملما بالحديث وفهومه ولكن تنقصه الحكمة أما الحكيم فهو الذي يقول الكلمة المناسبة ويتصرف التصرف المناسب ضمن حدود الشريعة فلا تربكه الأحداث ولا المواقف ولا يفعل فعلا يناقض قوله ولا يقول ما يعود عليه أو على غيره بالضرر، بل إن

---

[1] سورة التوبة الآية 124

[2] سورة البقرة الآية 269

الحكمة هي التي عليها محك الدعوة في النجاح أو الفشل ، ومشكلة المرشدين الأولى والأخيرة هي فقدان الحكمة ، وكثير من الدعاة لا تأثير لهم في الوعظ لهذا السبب .

كما أن عليه أيضا وراثة جميع الصفات النبوية التي وردت في قوله سبحانه وتعالى << كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون >> [1] **فعليه أن يذكر بآيات الله القرآنية والكونية ويزكي النفوس ويطهرها من عيوبها ويخلصها من أمراضها ويعلم الكتاب والحمكة وكل ما يلزمهم في أمر دينهم ، وهذا يحتم عليه أن يكون محيطا بعلوم الإسلام وثقافات المسلمين ،عارفا بعصره وتاريخه، مطلعا على خبايا النفس وأدوائها وإلى هذه المعاني أشار ابن البنا السرقسطي**[2] **فقال :**

عار لمن لم ينهل العلوما .... ويعلم الموجود والمـــــعدوما [3]

ولم يكن في بدئه فقيـــها .... وسائر العلـــــوم لا يدريــــها

[1] سورة البقرة الآية 151

[2] اسمه أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف التجيبي المعروف بابن البنا السرقسطي بظم القاف نسبة إلى سرقسطة إذ كان أصل نسبه منها ثم استقر بفاس وتوفي بها يقول الإمام زروق لم أقف على تاريخ وفاته قال ولم يكن مشهورا بالعلم مع ماله فيه من القدم الراسخ الذي دل عليه كتابه المباحث فقد عدً من عجائب مدينة فاس اهـ (الفتوحات الإلهية) لإبن عجيبة

[3] أي يعلم الوجود الواجب والعارض والعدم الواجب والعارض

والحد والأصول واللسانــا .... والذكر والحديــث والبرهانــا

ولم يكن أحكم علم الحال .... ولا درى مقاصـــــد الرجــال

ولم ينزه صفة المعبــود .... ولا درى مراتب الوجــــــود

والنفس والعقل معا والروحا.... ويدري منه صدره المشروحا

وعلم سر النسخ والمنسوخ .... أن يتعاطى رتبة الشيوخ [1]

ثم إنه لا يكفي الإطلاع على العلوم والمعارف ووسائل التربية وغيرها بل على المرشد أن يكون قد سلك طريق تصفية النفس على أيدي الأولياء المرشدين من قبل

وإنما القوم مسافرون ..... لحضرة الحق وظاعــــــنون

فافتقروا فيه إلى دليل ..... ذي بصر بالسير والمـــــقيل

قد سلك الطريق ثم عاد ..... ليخبر القوم بما استــــــفاد

وجاب منها الوهد والأكاما[2]**..... وراض منها الرمل والرغامــا** [3]

وجال فيها رائحا وغاديــا ..... وسار كــل فدفد[4] **ووادیــــــا**

---

[1] من متن المباحث الأصلية لإبن البنا السرقسطي
[2] الوهد المكان المنخفض بعكس الأكمة (جمعها آكام)
[3] راض المكان يعني اختبره .والرغام التراب
[4] فدفد مكان فيه غلظ وارتفاع

وعلم المخوف والمأمـونـا ..... وعرف الأنهـــار والعيـــونـا

قد قطع البيداء والمفــاوز ..... وارتاد كل حابـــس وحاجـــز

وحل في منازل المناهـــل ..... وكل شرب كـــان منه ناهـــل

فعندما قام بهذا الخطـــب ..... قالوا جميعا أنت شيخ الـــركب [1]

زيادة على التفقه في الدين والحكمة والسلوك على أيدي المرشدين على المرشد أن يرث تلك الأحوال القلبية التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرقي بها أصحابه ، ولقد ذكر الصحابة كيف أنهم أنكروا قلوبهم بعد أن فرغوا من دفن النبي عليه الصلاة والسلام [2] ، وما روي في هذا المعنى عن حنظلة كذلك أنه قال : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كأنها رأي عين وإذا خرجنا من عنده عافسنا الأزواج ....إلى آخر ما ذكره حنظلة [3].

كل هذا يدل على أن الأحوال القلبية كانت محسَّة من خلال مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم وأن من مظاهر هذا الحال أن يستشعر

---

[1] المباحث الأصلية ابن البنا السرقسطي

[2] عن أنس قال <<....فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ولما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا >> رواه الترمذي حديث رقم 3618

[3] رواه مسلم / كتاب التوبة حديث رقم 2750

أحدهم كأنه يرى الجنة والنار ،وهذه الأحوال القلبية والأحاسيس لن يستطيع أحد أن ينقلها إلى غيره مالم يكن له سير من قبل وإلى هذا أشار الشيخ الشيخ سعيد حوى [1]بقوله : << من خلال الواقع نجد أن الذين ليس لهم سير صوفي لم يستطيعوا أن ينقلوا الأحاسيس إلى غيرهم بل هم أنفسهم لا يشعرون بها >>[2].

ولقد شدد الصوفية أنفسهم في تحديد مواصفات الولي المرشد ذلك <<لإعتباره نائبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم >> [3]،وقالوا:<< ليس كل عالم يصلح للخلافة >> [4].

ولقد ذكر حجة الإسلام الغزالي جملة من المواصفات العالية التي تمس ظاهره وباطنه لا نريد أن نطيل الوقوف عليها ، بل إنهم رأوا أن الشيخ إذا لم يكن بهذا الكمال فإن السالك على يديه هالك . يقول الشيخ ابن المبارك :إن شيخ التربية إذا لم يكن بهذا الكمال جامعا لوصف العلم الظاهر والباطن جمعا كاملا فأقرب أحوال المريد معه على الهلاك >> [5].

---

[1] هو من أحد أبرز العلماء النشطين في سورية والذين قاموا بإكمال مسيرة الإخوان المسلمين يتميز بغزارة الإنتاج والنشاط العلمي من أهم شيوخه الشيخ مصطفى السباعي توفي 1409هـ الموافق لـ 1989م

[2] تربيتنا الروحية / سعيد حوى ص 222

[3] الغزالي /أيها الولد المحب ص 64

[4] نفسه

[5] كتاب الإبريز لإبن المبارك ص 396

ولهم في ذلك أقاويل منها قول أبي مدين شيخ ابن عربي:<< الشيخ الحقيقي من هذبك بأخلاقه وأدبك بإطراقه وأنار باطنك بإشراقه >>[1]

ومما سبق ندرك أن الوارث الكامل (الولي المرشد) هو عالم فقيه بالدين حكيم معلم للكتاب والسنة قادر على تزكية النفوس وسياستها له حال به ينقل القلب البشري إلى آفاق الإستشعار والشفافية وبه تكون الدعوة تامة و تجتمع الأمة بعد الشتات وتستدرك بأمثاله ما فات .

[1] ميارة ـ الدر الثمين ص 420

من هدي السنة

من المسائل التي أخذت اهتماما كبيرا لدى فقهائنا وعلمائنا وكتابنا وخاصة المتخصصين في السياسة الشرعية [1]مسألة البيعة وذلك لما لها من أهمية بالغة حيث ذكرت في القرآن الكريم فقال سبحانه وتعالى: << إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله >> [2] وقال أيضا: << لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجرة >>[3] .

كما أن نصوص السنة تشهد على كثرة ورودها وتنوع استعمالاتها وتعدد مجالاتها إلا أن القارئ أو السامع ما يكاد يقرأ أو يسمع عن البيعة إلا وينصرف ذهنه إلى البيعة السياسية ذلك لأن هذه الأخيرة

[1] من أمثال الماوردي وله الأحكام السلطانية وكذا قوانين الوزارة وكابن الحداد له الجوهر النفيس في سياسة الرئيس وكابن القيم له الطرق الحكمية والجويني له غياث الأمم وابن جماعة له تحرير الأحكام وابن تيمية له السياسة الشرعية ....وغيرهم

[2] سورة الفتح الآية 10

[3] سورة الفتح الآية 18

حقيقة مما تفردت به الحضارة الإسلامية عن مثيلاتها من الحضارات الإنسانية (فنظام البيعة) أبدعته الحضارة الإسلامية وكانت من أهم مميزات نظامها السياسي لأنها وكما تعني الطاعة فإنها تعني من وجه آخر اشراك الرعية في المنظومة السياسية الحاكمة ، ولعل هذا التفرد وهذا التميز جعل مفهوم البيعة مقتصرا عند الأغلب إلا على أعمال السياسة فغابت من جراء هذه النظرة العديد من صور البيعة لدرجة أن البعض ظنوا بأنها دخيلة على الدين الإسلامي ،في حين أن السنة النبوية طافحة بصور شتى ومجالات عدة لها كما ذكرنا وكما سنوضح ذلك في مبحثه .

مفهوم البيعة

مفهومها اللغوي :

البيعة مشتقة من الأصل الثلاثي (باع) وهي الصفقة على ايجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة [1].

وجاء أيضا أنها مشتقة من (الباع) لأن كل واحد من المتعاقدين يمد باعه للأخذ والعطاء [2]

وجاء أيضا أن البيعة إعطاء شيء مقابل ثمن معين أو إعطاء العهد بقبول ولاية أو خلافة [3]

---

[1] لسان العرب ابن منظور ج9 ص 371
[2] لسان العرب ابن منظور ج8 مادة (ب ي ع)
[3] المعجم العربي الأساسي ص 188

ولا يجب أن نقف عند المفهوم اللغوي وإن كانت له دلالته وإشارته إلا أن الذي يهمنا البيعة في الإصطلاح الإسلامي ومما يلي نورد بعضا من تعاريف العلماء في ذلك وسنحاول بحول الله أن نخرج منها بتعريف جامع مانع[1] لمفهوم البيعة .

مفهوم البيعة اصطلاحا :

يقول الراغب الأصفهاني < بايع السلطان إذا تضمن بذل الطاعة له > [2]
ويقول العلامة ابن خلدون << البيعة هي عهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم النظر في أمر نفسه ...>> [3]
وفي هذين التعريفين نلحظ المنحى السياسي واضحا وذلك بإدخال لفظ (السلطان مرة والأمير مرة أخرى) وبالتالي فهو لا يعطي التوصيف الكامل للبيعة وإنما يقيدها بالبيعة السياسية فعندها تخرج منه جميع صور البيعات الأخرى .

---

[1] جامع يعني دخول جميع أفراده فيه (أي في التعريف)
ومانع يعني يمنع دخول غيره فيه ومن عيوب التعريف أن لا يكون جامعا مانعا
[2] المفردات في غريب القرآن / مادة بيع
[3] المقدمة الفصل التاسع والعشرون ص 209 ط احياء التراث

أما ابن الأثير فهو يعرف البيعة فيقول <البيعة معاقدة ومعاهدة > [1]

وتعريف ابن الأثير هذا يقترب من تعريف البسيوني [2] حيث يعرف البيعة بأنها << عقد بين طرفين >> [3] إلا أن ابن الأثير يردفها بلفظة (معاهدة) ليزيد معنى ثان عن مجرد العقد وهو التعهد الذي يتضمن الإشارة إلى الوفاء المصاحب للعقد .

ثم إن هذين التعريفين ليس فيهما اشارة إلى الهيئة التي عرفت بها البيعة كما أن جميع العقود يمكنها أن تدخل تحت مسمى هذا التعريف .

وإن من التعاريف التي اقتربت إلى حد كبير من ضبط معنى البيعة في المفهوم الإسلامي تعريف الدكتور عدنان علي رضا النحوي حيث يقول:<< البيعة كلمات تعبر عن نية وعزيمة على الوفاء والأداء ويصحب ذلك بسط يد ومصافحة توثق ذلك كله ليتم العهد قلبا بقلب ويدا بيد ، ومن هنا جاء التعبير بقوله ولا تنزعوا يدا من طاعة [4]وكذلك في بيعة العقبة قال القوم ابسط يدك فبسط يده فبايعوه >> [5].

هذا التعريف اشتمل على معنى البيعة وهيئتها وصفتها ولم يخصصها

---

[1] النهاية / ابن الأثير ج1ص174

[2] أحد الدكاترة والباحثين المعاصرين

[3] الفكر السياسي / صلاح الدين البسيوني ص 189

[4] يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم /انظر صحيح مسلم كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم حديث رقم 1855

[5] كتاب العهد والبيعة / د عدنان علي رضا النحوي ص 107

ويحددها لذلك كان جامعا لجميع صور البيعات ومانعا منع دخول العقود الأخرى كالبيع والزواج وغيرها فيه فاستحق لقب التعريف الجامع المانع

.ومن خلال عرض التعاريف السابقة يتضح لنا جليا أن البيعة عقد بين طرفين وعهد على الطاعة مع عزيمة على الوفاء يصحب ذلك بسط يد ومصافحة[1] .

العقود في التشريع الإسلامي

يقول الحق سبحانه وتعالى << يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود >>[2]
.ويفسر سيدنا ابن عباس العقود فيقول : تعني العهود [3].
ويقول ابن جرير الطبري : أوفوا بالعقود يعني أوفوا بالعهود التي عاهدتموها ربكم والعقود التي عاقدتموها اياه وأوجبتم بها على أنفسكم حقوقا وألزمتم أنفسكم بها لله فروضا فأتموها بالوفاء والكمال والتمام[4] .

---

[1] هذه هي الصورة الغالبة للبيعة (الكلام والمصافحة) إلا بيعة النساء ومن به عاهة فتكون بالكلام فقط كبيعته صلى الله عليه وسلم للمجذوم حيث قال له ارجع فقد بايعتك رواه النسائي ـ بيعة من به عاهة ح رقم 4182. وقد تكون بالكتابة كبيعة النجاشي للنبي صلى الله عليه وسلم ولجعفر حيث يقول فيه : قد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين .ذكرها الزيلعي في نصب الراية وابن طولون الدمشقي في إعلام السائلين .

[2] سورة المائدة الآية 01

[3] تفسير الطبري / سورة المائدة الآية 01

[4] نفسه .

وللفقهاء كلام طويل عريض في العقود والإلتزامات وما يتفرع عن ذلك من أحكام .

وفي التشريع الإسلامي تنقسم العقود إلى قسمين :

عقد بإرادتين: ويقصد به اجتماع طرفين فيه ويلتزم كل طرف بواجباته ويدخل في هذا القسم عقد البيع وما شاكله من اجارة وشركة وسائر العقود التي يشترط فيها تلاقي الإيجاب والقبول وتدخل فيها كذلك العهود والمواثيق[1] .

عقد بإرادة واحدة : ويقصد به إلتزام من جهة واحدة ويدخل في هذا القسم النذر واليمين والظمان والحوالة [2] والوعد والهبة والوصية على غير معين[3]والجعالة وعهد الأمان ...>>[4] .

وعليه فمصطلح البيعة أو العهد كما يعبر عنه البعض ليس جديدا على الثقافة الإسلامية ، وهو داخل كما رأينا في قسم العقد بإرادتين

---

[1] حقيقة العقد في الفقه الإسلامي والقانون / د عباس حسني محمد .المبحث الأول ص22

[2] الحوالة : مأخوذة من التحويل والمقصود بها نقل الدين من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه وتقتضي وجود محيل وشيء محال ومحال عليه

[3] الوصية على غير معين هي كالوقف على الفقراء والمساجد .... بخلاف الوصية على معين فهي تفتقر إلى طرف القبول عند الجمهور

[4] حقيقة العقد في الفقه الإسلامي والقانون / د عباس حسني محمد .المبحث الأول ص22

ولكن هناك تغييب لبعض مجالات وصور البيعة مما أدى بالبعض إلى الشك في مشروعية بعض صورها (كبيعة الولي المرشد)أو ما يعرف بـ (أخذ العهد الصوفي) بل بلغ الحال عند البعض إلى القول ببدعيتها لهذا أردت أن أوضح وأؤصل لهذه الصورة من صور البيعات من خلال السنة المطهرة وأقوال سلف الأمة حتى يتضح وجه الحق لمن أراد الحق ونتوصل إلى الفصل في الجدلية القائمة (هل بيعة الصوفية أو الولي المرشد من هدي السنة وسلف الأمة أم أنها بدعة لا أصل لها ؟).

البيعة الصوفية (أخذ العهد عن الولي المرشد)

لقد شاعت بين الصوفية مصطلحات عديدة تدل على عمق العلاقة بين الشيخ والمريد كمصطلح الرباط ، العهد والبيعة ، التحكيم ، الباس الخرقة، الطريق، ...وغيرها . وهي ألفاظ ذات دلالات تربوية تعني بحسب الظاهر ابتداء الرابطة بين المريد السالك والشيخ الوارث الكامل ، وبحسب الحقيقة ربط المريد بالمراد وهو الحق سبحانه وتعالى.

ويرجع العهد في اللغة إلى عدة معاني منها : الوصية والضمان والرؤية وكل ما عوهد الله عليه وكل مابين العباد من المواثيق هو عهد

وأمر اليتيم من العهد وكل أمر أمر به الله عهد وكل نهي نهى عنه فهو عهد لقوله تعالى <<ألم أعهد اليكم يا بني آدم >> [1]. ويأتي بمعنى العقد والميثاق والأمانة والنذر والبيعة...>> [2]

والعهد في الإصطلاح على ما عرفه الشريف الجرجاني وهو :<< حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال >>[3].

وهذا المعنى متحقق في العهد عند الصوفية حيث يقصد (بأخذ العهد) أنه على المريد المحافظة على الواجبات والآداب الشرعية ويراعي ما يلقنه له شيخه من الأذكار والأوراد والمجاهدات [4] حالا بعد حال ولا يهملها أو يغفل عنها، فالمقصود بالعهد عندهم هو التأكيد على المريد السالك بالإنتقال من حياة الغفلة وغلبة الشهوات إلى حياة اليقظة والتوبة والأخذ بالعزم والجد .

وفي معنى العهد كذلك عندهم مدخل الصحبة المباركة بين الشيخ والمريد التي كان أول ابتدائها المعاهدة على طاعة من الطاعات أو

---

[1] سورة يس الآية

[2] انظر كتاب العهد والميثاق / الدكتور ناصر بن سليمان العمر

[3] التعريفات حرف العين ص175

[4] هناك عهد على بعض المجاهدات سيأتي توضيحها في مجالات البيعة

كلها ،و إلى هذا أشار السهروردي [1] بقوله :<<العهد والبيعة مترادفان وهما إرتباط بين الشيخ والمريد>>[2].

وفي معنى العهد عند الصوفية يدخل كذلك الشعور بالتلمذة وهذا الشعور يخلق في النفس تواضعا وتذللا وهما من الآداب المطلوبة شرعا بل ومن أصعب ما يجاهد به المرء نفسه .

ثم إنه لايكفي عند الصوفية في سلوكهم مجرد العلم فقراءة كتب التهذيب والتصوف ـ بلا معاناة لتهذيب النفس ومجاهدتها ـ تعد متعة ذهنية وثقافة عقلية قد تشارك فيها النفس الأمارة بالسوء فتكون طريقا إلى الضلال بدل الهدى ، ولا يستقيم السير إلا بدليل وهو الأستاذ المتصف بكمال الوراثة والمتابعة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ولابد من شيخ يريك شخوصها .... وإلا فنصف العلم عندك ضائع

---

[1] هو شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي قال عنه الذهبي < هو الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام أوحد الصوفية ...> انظر ترجمته السير ج377/22 ولد سنة539هـ وتوفي 632هـ صحب الشيخ الجيلاني قليلا.

[2] عوارف المعارف للسهروردي ص78 دار المعرفة بيروت

أقسام ومجالات البيعة في السنة النبوية

اشتملت السنة المطهرة على عدة أنواع من البيعات يمكن حصرها في قسمين رئيسيين :

القسم الأول : البيعة العامة

وهي ما عرفت ببيعة الخلافة الإسلامية أو بيعة الحكام وفيها يبايع المسلمون خليفتهم أو حاكمهم على السمع والطاعة في مقابل أن يحكم بما فيه مصلحتهم على أساس الشريعة الإسلامية ، والطاعة في هذه البيعة تكون واجبة لقوله تعالى << يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم >> [1] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا نبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ثم يقول فيما استطعت >> [2]

القسم الثاني : البيعة الخاصة

والأصح أن نقول البيعات الخاصة وذلك لتعدد صورها ومجالاتها وهي البيعات التي أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض الخاصة من أصحابه في أمور خاصة نورد من ذلك :

أ / البيعة على النصح :

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم >> [3]. وبمقتضى هذه البيعة عمل جرير بن عبد الله البجلي حيث ورد أنه أمر مولاه أن يشتري له فرسا

[1] سورة النساء الآية
[2] رواه مسلم ـ الإمارة حديث رقم 1867
[3] أخرجه البخاري (166/1)– ومسلم (39/1)واللفظ له .

فاشترى له فرسا بثلاثمائة درهم وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن فقال جرير لصاحب الفرس : فرسك خير من ثلاثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة درهم؟ قال ذلك إليك يا أب ا عبدالله, فقال فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم؟ ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول : فرسك خير إلى أن بلغ ثما نمائة درهم , فاشتراه بها فقيل له في ذلك فقال : إني بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم [1]. فجرير رضي الله عنه أدرك أنها بيعة وعهد يجب الوفاء والإلتزام به، فنفذها على أكمل وجه.

ب / البيعة على عدم الشرك وعلى الصلوات:

عن عوف بن مالك قال :كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :ألا تبايعون؟ رددها ثلاثا فقدمنا أيدينا فبايعناه فقلنا :يارسول الله قد بايعناك فعلى ما ؟ قال :على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس >>[2].

ج / البيعة على القول بالعدل :

---

[1] ذكرها النووي على شرحه لمسلم وابن حجر في الفتح وسكت عنها ورواها الطبراني في المعجم الكبير ج334/2رقم الحديث 2395وقال محقق المعجم حديث صحيح ويؤيد هذا ما رواه أبو داود في السنن حديث رقم 4.945 أن جريرا كان إذا اشترى شيئا أو باعه قال لصاحبه : إعلم أن ما أخذنا منك أحب إلينا مما أعطيناك فاختر

[2] رواه النسائي باب البيعة على الصلوات الخمس حديث رقم 460

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن نقول بالعدل أينما كنا ولا نخاف في الله لومة لائم[1].

د/ البيعة على الموت :

عن قتيبة بن سعيد قال حدثنا حاتم بن اسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد الله قال : قلت لسلمة بن الأكوع على أي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ؟قال على الموت [2].

هـ / البيعة على عدم الفرار :

عن قتيبة بن سعيد قال حدثنا سفيان عن أبي الزبير سمع جابرا يقول : لم نبايع رسول الله على الموت وإنما بايعناه على أن لا نفر[3].

و / البيعة على الجهاد :

عن يعلى بن أمية حدثه أن أباه أخبره أن يعلى بن أمية قال :جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي أمية فقلت يارسول الله بايع أبي

---

[1] رواه أحمد في المسند حديث رقم 22170
[2] البخاري حديث رقم 7206
[3] رواه الترمذي حديث رقم 1591

على الهجرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم << بل أبايعه على الجهاد وقد انقطعت الهجرة >>[1].

ز / البيعة على الأثرة :

عن يسار ويحيى بن سعيد أنهما سمعا عبادة بن الوليد يحدث عن أبيه عن جده قال : << بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا >>[2].

والأثرة : بفتح الهمزة والثاء أي : يفضلون غيرهم عليهم في نصيبهم من الفيء . وهي صورة من صور مجاهدة النفس إذ النفس ميالة إلى حب التملك .

ك / البيعة على عدم مسألة الناس :

عن عوف بن مالك الأشجعي قال :كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال :ألا تبايعون رسول الله؟ وكنا حديث عهد ببيعة فقلنا قد بايعناك يارسول الله ثم قال:ألا تبايعون رسول الله؟ فقلنا قد بايعناك يارسول الله ثم قال :ألا تبايعون رسول الله؟ قال فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يارسول الله فعلام نبايعك ؟ قال :أن

---

[1] رواه النسائي كتاب البيعة حديث رقم 7484

[2] رواه النسائي كتاب البيعة .البيعة على الأثرة ح رقم 4154

تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتطيعوا .وأسر بكلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه >> [1]. وهذه صورة أخرى من صور البيعة على ما فيه نوع من مجاهدة النفس

ل / البيعة على الصدقة :

عن بشر بن الخصاصية قال :أتيت النبي صلى الله عليه وسلم لأبايعه فاشترط علي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن أقيم الصلاة وأن أؤدي الزكاة وأن أحج حجة الإسلام وأن أصوم شهر رمضان وأن أجاهد في سبيل الله فقلت يارسول الله أما اثنتان فوالله ما أطيقهما :الجهاد والصدقة فإنهم زعموا أنه من ولى الدبر فقد باء بغضب من الله فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسي وكرهت الموت ،والصدقة فوالله مالي إلا غنيمة وعشر ذود ،هن رسل أهلي وحمولتهم .قال: فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده، ثم حرك يده، ثم قال : فلا جهاد ولا صدقة، فبم تدخل الجنة إذا؟ قال : قلت:يارسول الله أنا أبايعك قال : فبايعته عليهن كلهن >>[2].

م / البيعة على عدم النياحة :

---

[1] رواه مسلم ـ كتاب الزكاة ـ باب كراهة المسألة للناس ح رقم 1043

[2] رواه أحمد في المسند ــ مسند الأنصار ـ حديث بشر بن الخصاصية ح رقم 21952

عن أم عطية رضي الله عنها قالت :<< أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة على أن لا ننوح >>[1].

وهكذا تمضي بيعات النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه على أعمال الإسلام باختلافها وتعددها، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ البيعة على الدخول في الإسلام وعلى أعمال من شعائر الإسلام بل وحتى من آداب ومباحات كما تبين مما سلف .

وعليه يتضح لنا أن للبيعة صورا غير الصورة السياسية، ولكن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وجدت صيغة وحيدة لها وهي البيعة السياسية بمعنى أنه لا توجد سوى بيعة واحدة وهي التي تعطى للأمير .

يقول الشيخ سعيد حوى : ولما اختلفت الإتجاهات في الأمة الإسلامية بقيت البيعة تعطى على أساس الولاء لحهة في إطار سياسي مرتبطة بالحكم والسلطان وبقي الأمر على ذلك حتى القرن الخامس الهجري حيث وجدت البيعة للشيخ في بعض الهيئات على أساس الإلتزام بأعمال أو شيء من ذلك وفصل هذا النوع من البيعات للشيوخ عن الإطار السياسي فأصبح بعض الناس لهم بيعتان : بيعة للسلطان في الأحوال

[1] رواه النسائي كتاب البيعة .بيعة النساء ح رقم 4180

العامة وبيعة للشيخ على الإلتزام بالتقوى وأصبح كل شيخ يأخذ البيعة على مريديه في هذا الإطار >>[1] .

وتعضيدا لهذا (ظهور البيعة قي القرن الخامس) يقول الشيخ أبو الحسن الندوي [2] : أن الشيخ عبد القادر الجيلاني فتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه، يدخل فيه المسلمون من كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي، يجددون العهد والميثاق مع الله، ويعاهدون على ألاَّ يشركوا ولا يكفروا، ولا يفسقوا، ولا يبتدعوا، ولا يظلموا، ولا يستحلوا ما حرَّم الله، ولا يتركوا ما فرض الله، ولا يتفانوا في الدنيا، ولا يتناسوا الآخرة. وقد دخل في هذا الباب – وقد فتحه الله على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني – خلق لا يحصيهم إلا الله، وصلحت أحوالهم، وحسن إسلامهم، وظل الشيخ يربيهم ويحاسبهم، ويشرف عليهم، وعلى تقدمهم، فأصبح هؤلاء التلاميذ الروحيون يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة والتوبة وتجديد الإيمان >>[3].

[1] تربيتنا الروحية ـ الباب الخامس عشر ص237

[2] مفكر اسلامي وداعية كبير اسمه أبو الحسن علي بن عبد الحي أبوه من كبار المؤرخين ينتهي نسبه إلى سيدنا علي كرم الله وجهه ولد بالهند وعاش بها أسس العديد من الهيئات الدينية التعليمية وألف العديد من الكتب والمقالات ...انظر كتاب رباني الأمة وداعية الإسلام أبو الحسن الندوي بقلم الدكتور يوسف القرضاوي .

[3] رجال الفكر والدعوة ـ أبو الحسن الندوي ص209

فالشيخ أبو الحسن الندوي يرى أن من فتح باب البيعة على المشايخ أو بالأحرى أول من أحيى هذه السنة هو الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني[1] وهو أمر مشهور عنه ولم ينكر عليه أحد في ذلك .

ويرى بعض الدارسين والباحثين أن البيعة الصوفية وجدت قبل القرن الخامس الهجري ولهم في ذلك تدليلات وتخريجات ليس هذا محلها

أخذ العهد سنة السلف

[1] إمام صوفي جليل وفقيه حنبلي لقبه أتباعه بمحي الدين وتاج العارفين إليه تنسب الطريقة القادرية ولد سنة 470هـ وتوفي 561هـ ذاع صيته في المشرق والمغرب له تآليف عديدة منها ماهو مخطوط ومنها ماهو مطبوع وله كتاب (الطريق إلى الله) يتحدث فيه عن الخلوة والبيعة والأسماء السبعة .أثنى عليه العديد من العلماء نذكر منهم النووي حيث يقول في بستان العارفين ما علمنا فيما بلغنا عن الثقات الناقلين وكرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلاني كان شيخ الشافعية والحنابلة ببغداد انتهت إليه رئاسة العلم في وقته .....إلى أن قال وبالحملة فلم يكن في زمنه مثله. كما ترجم له كثير في البداية حيث قال : الشيخ عبد القادر الجيلي كان فيه تزهد كثير وأحوال صالحة ومكاشفات .
وأثنى عليه الذهبي في السير فقال : هو الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام وعلم الأولياء ومحيي الدين .....إلخ .وترجم له ابن حجر وأثنى عليه وغيرهم كثير .

لقد تبين مما سلف أن البيعة على عمل من أعمال الإسلام أو طاعة من الطاعات له أصله في السنة وذلك بقوله وفعله صلى الله عليه وسلم [1]. ثم إن البيعة الصوفية أو (أخذ العهد من الشيخ المرشد) أمر تلقته الأمة بالقبول[2]ودرج عليه السلف ولم ينكروه .

يقول صاحب تفسير (روح البيان) : << المبايعون ثلاثة :الرسل والشيوخ الورثة . والسلاطين .والمبايع في هؤلاء الثلاثة على الحقيقة هو الله تعالى وهؤلاء الثلاثة شهود الله على بيعة هؤلاء الأتباع >>[3].

فبيعة الشيوخ الورثة هي تبع لبيعة الأنبياء والرسل ذلك لأن العلماء ورثة الأنبياء، وفيما يلي نورد أقوالا لبعض العلماء المتقدمين والمتأخرين في أخذ العهد .

1/ أقوال العلماء المتقدمين

[1] العجب من الشيخ العربي التبسي وهو من علماء الجزائر المتأخرين حيث يصرح في كتابه بدعة الطرائق بأن أخذ العهد بدعة ليس له أصل وإن حاول المستنبط وتكلف فإنه لن يجد وأنه لا قياس بين بيعة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم وبيعة (الطرقية كما يسميهم) للشيوخ. وهو بهذا يعارض مبادئ القياس السليم ويهمش أقوال أهل العلم والدين ويرمي بالبدعة الكثير من علماء المسلمين من حيث لا يدري كما سيأتي معنا ان شاء الله .

[2] كما مر من قبل أن الشيخ عبد القادر الجيلاني أول من فتح هذا الباب ولم ينكر عليه أحد من العلماء بل أثنوا عليه وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن كما قال سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه / المقاصد الحسنة للسخاوي ح رقم 914وقال حديث موقوف حسن

[3] تفسير روح البيان لإسماعيل حقي في تفسير قوله تعالى << إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله >>

قول العلامة ابن الحاج[1]:

يقول رحمة الله عليه في كتابه المدخل << ولا يظن ظان أن ما تقدم ذكره فيه إنكار لأخذ العهد من أهله بشرطه المعتبر عندهم إذ أنه عليه درج السلف الصالح نفعنا الله بهم ،ولا ننكر أيضا الإنتماء إلى المشايخ بشرطه وهو أن يكون عند المريد شيخه وغير شيخه بالسواء بالنسبة إلى الإتباع وترك الإبتداع ويكون ايثاره لشيخه بسبب أنه كان وصوله إلى الله تعالى على يديه فيرى ذلك له فبهذا الإعتبار يقع التفضيل لشيخه والإختصاص به دون غيره >>[2] .

ولقد ذكرت قول ابن الحاج هنا بالذات لأن كتابه المدخل كتاب تعرض فيه لرد ما أحدثه الناس وابتدعوه [3]، وهو مع هذا يقر بأن أخذ العهد على المشايخ لا إنكار عليه بل هو مما درج عليه السلف الصالح كما مر .

---

[1] هو الشيخ محمد بن محمد أبو عبد الله العبدري المعروف بابن الحاج المغربي الفاسي المالكي قال عنه ابن فرحون : هو من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين من أصحاب أبي محمد بن أبي جمرة كان فقيها عارفا بمذهب مالك سمع من بعض شيوخه بالمغرب وقدم القاهرة وسمع بها توفي سنة 737هـ /الديباج المذهب ج2

[2] كتاب المدخل ج2ص354/353

[3] قال ابن حجر في الدرر الكامنة في ترجمته لإبن الحاج << كتاب المدخل كتاب كثير الفوائد كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها أكثرها مما ينكر وبعضها مما يحتمل >>.

الحافظ ابن أبي جمرة [1]:

يقول ابن الحاج في كتابه المدخل << كان سيدي أبو محمد رحمه الله يأبى أن يأخذ العهد على أحد فسألته ما الموجب لذلك أهو بدعة ؟ قال :لا ولكن عبد الله يعني نفسه ليس كغيره فأخاف إن أخذت العهد على أحد فقد لا يوفي بما أخذ عليه من العهد فيقع له التشويش وأكون السبب في ذلك فأتركهم رحمة بهم وشفقة عليهم >>[2].

فالحافظ ابن أبي جمرة رحمة الله عليه وهو كما علمنا من كبار الحفاظ والمحدثين يصرح بعدم بدعية أخذ العهد ولكنه ترك ذلك خوفا وشفقة على الناس .

أبو اسحاق الشاطبي :

أبو اسحاق الشاطي الأصولي المحقق والنظار المدقق في كتابه الموافقات يؤصل لمسألة أخذ العهد عند الصوفية ويدرجها في المسألة

---

[1] هو الحافظ المشهور الإمام المحدث الكبير عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي يمتد نسبه إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري ويكنى بأبي محمد من العلماء بالحديث عالما بمذهب مالك توفي بمصر 695هـ .له كتاب جمع النهاية وبهجة النفوس والمرائي الحسان عرف ابن أبي جمرة كثيرا بمختصره لصحيح البخاري، وهو من بيت علم، وكان يروي عن أبيه . ولقد تناول كتابه هذا الكثيرون بالشرح والتفسير ...انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج4ص 89 ونيل الإبتهاج ص 216،وكان ابن حجر العسقلاني يسميه بالشيخ القدوة وكثيرا ما يقول عقب ذكره (نفع الله ببركته)كما في فتح الباري .

[2] المدخل ج2ص354

الثامنة من مسائل النوع الرابع في بيان قصد الشارع من الأعمال دوام المكلف عليها فيقول << من هنا يؤخذ حكم ما ألزمه الصوفية أنفسهم من الأوراد في الأوقات وأمروا بالمحافظة عليها >>[1].

ومن المعلوم عند العامة فضلا عن العلماء وخاصة في زمن الشاطبي وعصره أن التزام الصوفي (بالأوراد) [2] يتم عن طريق البيعة (أخذ العهد) بل إن الشاطبي أوضح ذلك ـ وإن لم يصرح باللفظ ـ بقوله :وأمروا بالمحافظة عليها وما يوضح ذلك أكثر أنه كان يراسل الشيخ الجليل صوفي زمانه ابن عباد النفزي الرندي وفي ذلك إشارة إلى تسليم الشاطبي لمشايخ التربية، جاء في إحدى هذه الرسائل قوله :"هل على السالك إلى الله تعالى أن يتخذ لزاما شيخ طريقة وتربية يسلك على يديه ؟؟ أم يسوغ له أن يكون سلوكه إلى الله تعالى من طريق التعلم والتلقي من أهل العلم دون أن يكون له شيخ طريقة ؟>>[3].

كما أنه تحدث في الموافقات عن خطورة من سلك وحده بدون شيخ تربية وسلوك[4] .

---

[1] كتاب الموافقات ج2ص405

[2] الورد في المصطلح الصوفي هو <الذكر الذي يعاهد المريد شيخه في بيعة كاملة التشريفات على ملازمته مدى الحياة > من كتاب التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان د/محمد بن بريكة ص315

[3] على هامش رسالة المسترشدين /عبد الفتاح أبو غدة ص39

[4] كتاب الموافقات بحث خوارق العادات ج2ص189

ويقول أيضا في كتابه الإعتصام << إن كثيرا من الجهال يعتقدون أن الصوفية متساهلون في الإتباع وأن اختراع العبادات والتزام مالم يأت الشرع بالتزامه مما يقولون به ويعملون عليه وحاشاهم من ذلك أن يعتقدوه أو يقولوا به فأول شيء بنوا عليه طريقتهم اتباع السنة واجتناب ما خالفها >>[1].

2 / شهادات لبعض العلماء المتأخرين:

العلامة المفسر الفقيه أحمد الصاوي :

يقول رحمة الله عليه في تفسير قوله تعالى << إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم >>: << هذه الآية وإن كان سبب نزولها بيعة الرضوان إلا أن العبرة بعموم اللفظ فيشمل مبايعة الإمام على الطاعة والوفاء بالعهد ،ومبايعة الشيخ العارف على محبة الله ورسوله والتزام شروطه وآدابه >>[2]

الشيخ المحدث الكاندهلوي[3]

---

[1] الإعتصام ج1ص89ط دار المعرفة 1406هـ

[2] حاشية الصاوي على الجلالين 94/4 دار الفكر بيروت سنة 1385هـ

[3] هو العلامة المحدث محمد زكرياء الكاندهلوي ولد سنة1315هـ أحد كبار المحدثين في العالم الإسلامي له من المؤلفات ما يزيد عن 140مؤلفا توفي سنة1402هـ بالمدينة المنورة انظر ترجمته في (تذكرة حياته)لأبي الحسن الندوي

يقول رحمة الله عليه:<< إن البيعة المعمول بها عند السادة الصوفية حاصلها أنها معاهدة للإلتزام بالأحكام والإهتمام بالأعمال الظاهرة والباطنة ....إلى أن قال : فثبت أن إنكار هذه البيعة جهل >>[1]

الشيخ سعيد حوى [2]

يقول في كتابه غذاء العبودية << ونحن نرى أن أخذ العهد من الدعاة الكمل فيه بركة للآخذ والمعطي >>[3] .

هذه بعض من أقوال الفقهاء والمحدثين والأصوليين المتقدمين منهم والمعاصرين الذين ارتضتهم الأمة وأخذت عنهم،أما عن أئمة الصوفية المقتدى بهم فنذكر منهم استئناسا :

الولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني[4]:

وهو كما أشرنا من قبل أنه أول من فتح باب تجديد البيعة وأخذ عليه الكثير من الخلق العهود، وأفرد له تأليفا خاصا بعنوان (الطريق إلى الله) يتحدث فيه خاصة عن الخلوة والبيعة والأسماء السبعة .

---

[1] كتاب الشريعة والطريقة ص 123/122

[2] تقدمت ترجمته

[3] كتاب غذاء العبودية للشيخ سعيد حوى ص 07

[4] تقدمت ترجمته

العلامة الإمام عبد الوهاب الشعراني [1]

قال رحمه الله :<< من ترك الذكر فقد نكث عهد شيخه >>[2]، كما أن له كتاب العهود المحمدية وكذا كتاب البحر المورود في المواثيق والعهود .

الخلاصة

يتبين لنا من خلال هذا السرد أن مسألة البيعة للولي المرشد ليست أمرا جديدا على الثقافة الإسلامية وليس ابتداعا في دين الله تعالى وأن لها أصولها من السنة المطهرة ارتضاها أئمة الدين ولم ينكروها بل ومن خلال مطالعتنا المحدودة وجدنا تسجيلات لكبار علماء الأمة في أخذهم وتلقيهم البيعة الصوفية كما سنوضحه بإذنه تعالى ليستيقن القارئ أن أخذ العهد وكما أن له أصله فهو مما درج عليه السلف كما قال ابن الحاج آنفا .

[1] هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري عالم زاهد وفقيه محدث أثرى المكتبة الإسلامية بتآليفه ولد سنة 898هـ حفظ القرآن وعمره ثمان سنوات وكان يختمه في ركعة واحدة قبل سن الرشد وكذا المتون توفي 973هـ انظر أعلام الإسلام توفيق الطويل .

[2] الأنوار القدسية ج1ص70

علماء أخذوا العهد عن المشايخ

شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري[1] :

يقول عن نفسه :<< وقد ألبسني الخرقة ولقنني الذكر ـ يعني شيخه علي البتيتي ـ من طريق سيدي محمد الغمري وذكر لي أنه سافر إلى المحلة الكبرى فأخذ عنه لبس الخرقة وتلقين الذكر >>[2].

الإمام الحافظ السخاوي [3]

يقول في كتابه الضوء اللامع :<< وقد اجتمعت به كثيرا ـ يعني مدين بن أحمد الأشموني ـ وتلقنت منه الذكر على طريقتهم >>[4].

---

[1] هو شيخ الإسلام ووحيد عصره زين الدين أبو يحيى زكرياء بن محمد بم أحمد بن زكرياء الأنصاري الخزرجي الأزهري الشافعي محدث وفقيه ومفسردرس جميع العلوم والمعارف قال عنه الغزي : كان عارفا بسائر العلوم الشرعية وآلاتها وقال العلائي :جمع أنواع العلوم والمعارف والمؤلفات وكان على ما عليه من الإجتهاد في العلم والإشتغال به وعلى ما عليه من الإفتاء وأمور القضاء لا يفتر عن الطاعة ليلا نهارا وكان مهاب الجناب ...توفي سنة926هـ ودفن قرب الشافعي ترجمته في الكواكب السيارة للغزي وانظر الأعلام للزركلي

[2] كتاب الطبقات الكبرى للشعراني ص 460 وزاد نجم الدين الغزي في كتابه الكواكب السيارة اسنادا آخر له في الذكر عن أحمد بن علي الأتكاوي ومحمد بن أحمد الغزي وقال : تلقن منهم الذكر وأذنوا له بالتقين والإلباس .

[3] هو شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي نسبة إلى سخا شمال مصر مؤرخ كبير وعالم بالحديث والتفسير والأدب عاش بالقاهرة ومات بالمدينة المنورة سافر في البلدان سفرا طويلا وصنف أكثر من مئتي مصنف منها كتابه الضوء اللامع ترجم فيه لنفسه في ثلاثين صفحة توفي سنة 902هـ

[4] الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ج10ص151

الإمام المفسر عماد الدين بن كثير [1]

كان ابن كثير ممن ينكرون على الصوفية ويشددون على أهلها إلا أنه في آخر عمره رجع واعترف بالتصوف ودخل في صف الطريقة الشاذلية يقول تلميذه العلامة الصفدي [2]:<< ورأيت شيخنا عماد الدين بن كثير قد فتر عنه في الآخر ـ يقصد أبو الحسن الشاذلي ـ وبقي واقفا في هذه العبارات[3]حائرا في الرجل لأنه قد <u>تصوف على طريقته وأخذ عن نجم</u> الدين الأصفهاني ونجم الدين صحب أبا العباس المرسي صاحب الشيخ أبي الحسن الشاذلي >> [4].

الشيخ الفقيه ابن الحاج المالكي [5]

---

[1] هو أبو الفداء عماد الدين بن اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير البصري ثم الدمشقي المعروف بابن كثير حافظ فقيه مفسر ومفت مؤرخ وعالم بالرجال مشارك في اللغة ولد سنة 700هـ سمع الكثير من الشيوخ وتتلمذ في بدئه على الشيخ ابن تيمية توفي سنة774هـ انظر ترجمته في الدرر الكامنة

[2] هو صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الألبكي الصفدي الدمشقي الشافعي حفظ القرآن في صغره وبرع في الأدب والنحو والشعر وأخذ عن العديد من العلماء في صفد ودمشق سمع من الشيخ ابن جماعة والتاج السبكي والمزي والذهبي وابن تيمية وابن كثير وتولى العديد من الوظائف الإدارية والمالية له من التصانيف الشيء الكثير منها الوافي (في 30مجلدا) توفي764هـ انظر ترجمته في طبقات الشافعية ج10

[3] يقصد عباراته في الحقيقة لأن الصفدي ذكر أن الشاذلي له عبارات تكلف الكثير الإعتذار له فيها لعدم فهم الناس لها والأولى تركها ثم ذكر سبب توقف شيخه ابن كثير عن التعليق عنها لأنه كان على طريقته

[4] الوافي في الوفيات ج21ص 142/141ط احياء التراث 1420هـ

[5] تقدمت ترجمته

يقول عنه الشيخ ابن فرحون المالكي :<< صحب جماعة من الصلحاء وأرباب القلوب وتخلق بأخلاقهم وأخذ عنهم الطريقة >>[1].

والطريقة في المصطلح الصوفي هي << عهد بين المريد وشيخه على التزام الورد وآداب مخصوصة للتطهير الباطني ومعرفة الله >>[2].

الشيخ الفقيه أبو بكر الموصلي [3]

يقول عنه ابن حجر العسقلاني << كان يلقن الذكر ويلبس الخرقة >>[4]

الشيخ أحمد شمس الدين الأقصرائي [5]

ذكر ابن حجر العسقلاني سند تلقيه للذكر حتى سيدنا علي كرم الله وجهه ثم نقل قول قطب الدين الحلبي عن هذا السند وقال << أنه اشتمل على جملة من المشايخ الصلحاء >>[6]. هذا عن الأوائل .

---

[1] الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب ج2ص322

[2] كتاب التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان د/محمد بن بريكة ص294

[3] أبو بكر بن علي بن عبد الله الموصلي ثم الدمشقي قرأ القرآن الكريم وحفظ الحاوي ثم سكن الشام وحفظ التنبيه وتمهر في الفقه وكان يقرئ منازل السائرين ويتكسب من حرفة الحياكة وأطال ابن حجر في ترجمته انظر الدرر الكامنة ج1ص 151

[4] الدرر الكامنة ج1ص 151

[5] هو أحمد بن تركان شاه بن أبي الحسن شمس الدين أبو محمد الأقصرائي الصوفي كان أولا صوفيا بسعيد السعداء ثم انتقل إلى القرافة كانت له يد في التصوف انظر الدرر الكامنة ج1ص36

[6] الدرر الكامنة ج1ص36

أما من المتأخرين فنذكر :

الشيخ الفقيه أبي البركات أحمد الدردير [1]

يقول عنه الشيخ محمد حسنين مخلوف <<أخذ عن الملوي والحنفي وبه تخرج في طريق القوم وصار أكبر خلفائه في الخلوتية وعنه أخذ جملة منهم : الدسوقي والعقباوي والصاوي والسباعي وجماعة >>[2].

الإمام المحدث محمد بن علي الشوكاني [3]

يقول عن نفسه في كتابه البدر الطالع في ترجمة السيد عبد الوهاب بن محمد شاكر << .. وقد تلقيت منه الذكر على الطريقة النقشبندية >>[4].

>>[4].

الشيخ الحسن البنا [5] يقول في كتابه مذكرات الدعوة والداعية << وإذا لم تخني الذاكرة، فقد كان يوافق يوم الأحد حيث تلقيت الحصافية الشاذلية عنه وأدبني بأدوارها ووظائفه>>[6].

---

[1] هو أحمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي أحد أبرز الفقهاء والأصوليين له تآليف عديدة في اللغة والفقه والتصوف توفي سنة 1201هـ أفرد له شيخ الأزهر عبد الحليم محمود بترجمة خاصة في كتاب عنوانه أبو البركات سيدي أحمد الدردير

[2] شجرة النور الزكية ج1ص359

[3] هو محمد بن علي الشوكاني أحد أبرز علماء اليمن ولد سنة1173هـ وتوفي 1255هـ من مؤلفاته نيل الأوطار وفتح القدير وارشاد الفحول ترجم لنفسه في البدر الطالع

[4] البدر الطالع ج1ص406

[5] شخصية مشهورة بارزة في العصر الحديث مؤسس حركة الإخوان المسلمين ولد 1324هـ واستشهد 1368هـ له مؤلفات عديدة

[6] كتاب مذكرات الدعوة والداعية باب ــ الطريقة الحصافية ــ ص 27

الشيخ محمد متولي الشعراوي

وهذ الأخير يقول في قصيدة له حينما دخل إلى الطريقة الهبرية البلقائدية [1]:

نور القلوب وري روح الوارد ..... هبرية تدني الوصول لعابـــــــد

تزهو بسلسلة لها ذهبيـــــة ..... من شاهد للمصطفى عن شاهد

طوفت في شرق اليلاد وغربها.... وبحثت جهدي عن امـــام رائـــد

أشفي به ظمأ لغيب حقيقة ..... وأهيـم منه في جـــلال مشـتاهد

فهداني الوهاب جل جلاله ..... حتى وجدت بتلمسان مقاصــدي

واليوم آخذ نورها عن شيخنا ..... محيي الطريـق محمد بلقائـــــد

ذقنا مواجيد الحقيقة عنده ..... وبه عرجنا في صفاء مصـــــاعد

عن شيخه الهبري در كنوزه ..... فاغنم لآلئه وجـــد وجــــاهـــد

دندن بما لقنته من ورده ..... بصفاء نفس متيـــم متواجـــــــد

إياك من لفت الفؤاد لغيره ..... واجعل سبيـلـك واحدا للــواحـــــد

[1] ألقاها في صيف 1972 بعد خروجه من الخلوة وهي مسجلة صوتيا بصوته رحمة الله عليه

علماء لبسوا خرقة التصوف [1]

الشيخ ابن قدامة المقدسي [2]

قال العليمي في كتابه المنهج الأحمد << يقول الموفق :لبست أنا والحافظ عبد الغني الخرقة من يد شيخ الإسلام عبد القادر >>[3].

العلامة المقرئ ابن الجزري [4]

يقول في كتابه مناقب الأسد الغالب << وأما لبس الخرقة واتصالها بأمير المومنين علي كرم الله وجهه فإني لبستها من جماعة ووصلت

---

[1] خرقة التصوف وتسمى لباس الفتوة أو المرقعة وهي ما يلبسه المريد من شيخه الذي دخل في إرادته وفي لبسها معنى المبايعة ودخول المريد تحت تربية شيخه يقول الإمام السهروردي عن لبس الخرقة <وفيها معنى العهد والمبايعة> الطريق الصوفي/يوسف زيدان . ويقول العلامة ابن علان الصديقي < لبس الخرقة فيه نوع من المبايعة > ويؤصل رحمة الله عليه لها في كتابه الفتوحات الربانية في شرح الأذكار النواوية ج1ص310

[2] هو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة .... بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يقول ابن تيمية : ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه منه ولد سنة541هـ حفظ القرآن ومتون المذهب الحنبلي كما أنه أقام مدة عند الشيخ عبد القادر الجيلاني توفي سنة 620هـ له مؤلفات عدة كالمغني واللمعة والكافي ...إلخ

[3] المنهج الأحمد ج1ص191

[4] هو الحافظ الحجة الثبت المدقق والرأس المحقق قاضي القضاة وشيخ القراء بلغ الذروة في علوم التجويد وفن القراءات وصار فيها إماما لا يدرك شأوه ولا يشق غباره اسمه محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري الدمشقي الشافعي ولد سنة 751هـ وتوفي سنة 833هـ له مصنفات فاقت التسعين مصنفا في القراءات وأصول الفقه وعلوم القرآن ومصطلح الحديث والتاريخ والمناقب وصفه ابن حجر بالحافظ في العديد من المواطن في الدرر الكامنة

إلي من طريق .... ثم ساق سنده إلى الشيخ عز الدين الفاروثي ثم قال وللشيخ عز الدين المذكور له في لبسها ثلاث طرق :أحمدية وقادرية وسهروردية >>[1]

الشيخ المحدث ابن الصلاح[2]

يقول جلال الدين السيوطي في كتابه تأييد الحقيقة العلية << ...ويقول ابن الصلاح لي في لبس الخرقة اسناد عالي >>[3]

ونقل العلامة ابن علان الصديقي قولا لإبن الصلاح حيث يقول :<<من القرب لبس الخرقة >>[4].

سلطان العلماء العز بن عبد السلام[5]

يقول عنه الإمام السيوطي : << لبس خرقة التصوف من الشهاب السهروردي >>[6]

---

[1] مناقب الأسد الغالب ص 85/84

[2] أبو عمرو عثمان ابن المفتي صلاح الدين بن عبد الرحمان الكردي أحد علماء الحديث تفقه على والده ودرس بالمدرسة الصلاحية قال عنه ابن خلكان :كان أحد فضلاء عصره في الحديث والتفسير والفقه وأسماء الرجال واللغة وفنون عديدة وهو أحد أشياخي توفي 643هـ أنظر ترجمته في وفيات الأعيان ج3ص 243

[3] تأييد الحقيقة العلية ص 13

[4] الفتوحات الربانية في شرح الأحاديث النواوية ج1ص 308

[5] هو سلطان العلماء كما يلقب أشعري شافعي برز زمن المماليك والحروب الصليبية وعاصر الدولة المنشقة عن الخلافة العباسية وهومغربي الأصل من أسرة فقيرة مغمورة كان مهابا متقيدا بوضع العمامة على عادة الفقهاء حفظ التنبيه في مدة وجيزة كان ينكر على الصوفية ثم عدل عن ذلك ولزم أبا الحسن الشاذلي له مؤلفات عديدة توفي 660هـ انظر ترجمته في حسن المحاضرة للسيوطي ج1

[6] حسن المحاضرة ج1ص 273

الإمام شمس الدين الذهبي[1]

يقول عن نفسه في سير أعلام النبلاء :<< ألبسني خرقة التصوف المحدث الزاهد ضياء الدين الأنصاري بالقاهرة وقال :ألبسنيها شهاب الدين السهروردي بمكة عن عمه أبي النجيب ...>>[2]

وفي ذكر هذا القدر من العلماء والصلحاء كاف لطالبي الحق ومريدي الإنصاف .

[1] هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين أبو عبد الله الذهبي محمدث وحافظ طلب العلم وهو ابن ثمان عشرة كان من تلامذة ابن تيمية وكان شديد الميل إلى الحنابلة وهو تركماني الأصل له رحلات كثيرة ومؤلفات عديدة منها السير وتاريخ الإسلام ...توفي 748 انظر ترجمته

[2] السير ج22ص377

فوائد أخذ العهد

لقد ذكرنا في مبحث (معنى العهد ودلالاته) أنه يتضمن معنى الصحبة المباركة كما أنه يوجد في النفس الشعور بالتلمذة الذي من شأنه أن يحطم من كبرياء النفس وعتوها، لكن بقي أن نشير إلى فائدتين جليلتين لأخذ العهد وهما :

1/ وسيلة من وسائل إصلاح المجتمع :

لا يخفى على أحد هذا التزايد المذهل والنمو المتسارع للمجتمع في العمران والبنيان والإنسان ولقد بدا جليا كذلك انفتاح الدنيا على الخلق وغدا العالم قرية صغيرة في ظل هذا التقدم، وتنوعت الفتن وتفننوا فيها وكثرت روافد الإنحراف وسبل الضياع الفكرية والخلقية مما أدى إلى عسر في إصلاح المجتمع ولم تعد المدارس والمعاهد تجدي على تعددها وكثرتها ولم تعد الكتب تسعف على تنوعها ووفرتها حتى أعلن بعض الدعاة اليأس والإستسلام ،في حين دعا بعض الكتاب والدعاة والمصلحين إلى ضرورة الرجوع بأخذ العهد واعتبروه أنجع طريق لإصلاح المجتمع ، ولقد أجاد العلامة أبو الحسن الندوي في توصيف ذلك فقال :<< وهكذا أصبحت هذه المدارس النظامية التي تخضع لقيود وتقاليد كثيرة قاصرة عن إصلاح شعبي وتربية عامة ، وبقيت منحصرة

في نطاق ضيق لا تفيد ولا تسعف إلا القليل ممن يلتحق بها فلا صلة لها بالشعب ولا صلة للشعب بها ،إلا عند الإستفتاء أو ما يشبه ذلك ، وكذلك المؤلفون المثقفون الكبار فالفجوة الثقافية والعقلية بينهم وبين الشعب واسعة ،ثم إن صلة الناس بالمدارس والعلماء والمؤلفين صلة علمية عقلية،لا تخضع لها القلوب والنفوس ، ولا تنصبغ بها الحياة والأخلاق والطبائع إلا في النادر، ولا يتقيد بها الناس ولا يرتبطون بها ارتباطاً روحياً لذلك فالمسلمون في حاجة إلى دعاة وشخصيات قوية جامعة تجمع بين تلاوة الآيات وتعليم الكتاب والحكمة وتزكية النفوس،ومن يجدد صلتها بالله والرسول ، و يجدد لها الميثاق الذي دخلت فيه هذه الأمة والمسلمون جميعاً ، وما عاهدت وبايعت عليه النبي عليه الصلاة والسلام ، ولكن للأسف فقد تغافل عن ذلك الخلفاء (غير الراشدين) واقتصروا على الجباية والفتوح وأخذ البيعة لأنفسهم وأولادهم ، وعجز عن ذلك العلماء ، فاشتغلوا بالفتوى والوعظ والتدريس والعلم والتأليف ، وإذا أرادوا لم تخضع لهم العامة ؛ لأنهم لا يرون فيهم إلا النادر القليل من الإخلاص والزهد وهكذا ضعف الشعور عند العامة والسوقة والفلاحين والعملة ، بل و حتى عند كثير من الخاصة والمتعلمين بأن الإسلام عهد وميثاق وبيع وشراء بين العبد وربه وأصبحوا أحراراً في تصرفاتهم ، جامحين عاتين في شهواتهم هملاً وقطعاناً ، لا يضبطهم راع ، وضعفت في كثير منهم الرغبة في الطاعات

وتفلتوا من الإلتزامات ناهيك عن بلوغ درجة الإحسان والحصول على نور اليقين وبشاشة الإيمان ، وتقاصرت الهمم ، وخمدت النفوس ، وأقبل الناس ـ إلا من عصم ربك ـ على اللذات والشهوات . عندها قام في نواحي المملكة الإسلامية الواسعة خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم الربانيون ، يجدد الناس بدعوتهم وصحبتهم ميثاق الإسلام ، واستردوا بذلك حلاوة الإسلام ولذة الإيمان ، وخرجوا من سلطان الهوى ورق الشهوات ، ونشطوا في العبادات والطاعات.>>[1].

وإلى هذا أشار كذلك الدكتور محمد القهوجي في كتابه نظرات في التصوف حيث قال << نحن في عصرنا هذا أشد الناس حاج ة إلى متصوف يعمل بنظام المتصوف الحقيقي وذلك لأن شبابنا قد استهوته الأهواء وسيطرت على قلبه فأصبحت دور السينما من المغريات وأشد الوسائل جلبا لها والمجلات الفارغة والإذاعات اللاهية اللاعبة أصبح كل هذا يستهويه وإذا سيطرت الأهواء والشهوات على جيل من الأجيال أصبحت خطب الخطباء لا تجدي وكتابة الكتاب لا تجدي ومواعظ الوعاظ لا تجدي وحكم العلماء لا تجدي وكل وسائل الهداية لا تجدي شيئا ....إذا لابد لنا من طرق آخر للإصلاح هذا الطريق أن نتجه إلى الإستيلاء على نفوس الشباب وهذا لا يكون إلا عن طريق الشيخ

[1] رجال الفكر والدعوة للعلامة أبو الحسن الندوي ص209/208 طبعة نزار مصطفى (4أجزاء ضمن مجلد واحد)

ومريديه بحيث يكون في كل قرية وفي كل حي وفي كل بيئة علمية أو اجتماعية أو سياسية رجال يقفون موقف الشيخ الصوفي من مريديه >>[1]

2/ بركة اتصال السند :

لقد غدا معلوما عند العام والخاص أن الإسناد من خصوصيات الأمة المحمدية ولم توجد أمة من الأمم أولت العناية بالإسناد مثلها لذلك قال ابن المبارك :< الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء > وهو يقصد الإسناد في رواية الحديث لأنه بالإسناد تميز صحيح الخبر من سقيمه وبه حفظ الدين وسنة النبي عليه الصلاة والسلام ، كما اعتنى بذلك القراء في إسناد قراءاتهم حتى قالوا : لا تأخذ القرءان من مصحفي (أي الذي قرأه من المصحف دون شيخ متصل السند إلى النبي صلى الله عليه وسلم).

بل وإنه من شدة العناية بالسند هذه وجد في الأمة ما يسمى بالمسلسلات الحديثية وفيها تنقل حتى الهيئات ويتم تلقيها وأخذها بهيئتها كالمسلسل بالمصافحة والمسلسل بالمشابكة والمسلسل بوضع اليد على الرأس وغيرها فيأخذها طالب الحديث بهيئتها تلك طالبا بذلك بركة اتصال السند .

[1] نظرات في التصوف الإسلامي للدكتور محمد القهوجي ص 52

ولما كان للإسناد هذه الأهمية البالغة درج علماء الصوفية على غرار علماء الحديث والقراءات في إسناد الأحوال القلبية والمجاهدات شيخا عن شيخ حتى يتصل السند بسيدنا علي كرم الله وجهه الذي تنسب إليه جميع طرق المجاهدات والتصفية وهو أخذ هذه الأحوال من النبي صلى الله عليه وسلم ويشهد لتلقي سيدنا علي رضي الله عنه لهذه العهود والمجاهدات الكثير من الأحاديث [1] وللحافظ أحمد بن الصديق الغماري كتاب نفيس في إثبات اتصال السند الروحي والخرقة الصوفية إلى سيدنا علي كرم الله وجهه سماه (علي بن أبي طالب إمام العارفين) .

فأخذ العهد عند الصوفية ماهو إلا توصيف فعلي لإتصال السند السلوكي والذي أرادوا أن يكون أول بدء له عن طريق المعاهدة كإشعار للسالك أنه بدأ طريق المجاهدة وهاهو يعاهد ويلزم نفسه بالتوبة والذكر وغيرها مما يشترطه عليه المربي يقول الشيخ الزمزمي [2] << وطريقة الصوفية في ذلك ـ أي أخذ الأوراد ـ طريقة المحدثين في رواية الحديث مسلسلا بشيخ عن شيخ إلى النبي صلى الله عليه وسلم >>[3].

لذلك فمن شروط الصوفية أن يكون الشيخ متصل السند وإلا فلا يجوز الأخذ عنه وفي ذلك يقول العلامة ابن خلدون في كتابه شفاء السائل

---

[1] منها ما أخرجه الطبراني في الصغير وأبو نعيم في الحلية بسند حسن إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كنا نتحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إلى علي سبعين عهدا لم يعهدها إلى غيره وفي رواية أبي نعيم ثمانين عهدا

[2] محمد الزمزمي بن محمد بن الصديق الغماري يعتبر من كبار مناهضي الفكر الصوفي حتى أنه تبرأ من والده وإخوته ورد عليهم ورغم أنه كان متعصبا إلا أنه ألف كتابه الإنتصار لطريق الصوفية وهو لا ينكر العهد كما رأينا كما أنه كان يحتفل بالمولد وقيل أنه أعلن بهذا الكتاب توبته .

[3] كتاب الإنتصار / للشيخ محمد الزمزمي ص 17

<< من رام أن يتصوف دون شيخ قد رباه شيخ آخر بسند سلوكي إلى المعلم الأول والمرشد الحق صلى الله عليه وسلم فقد رام أمرا صعبا ورمى مرمى بعيدا >>.[1]

[1] شفاء السائل لتهذيب المسائل /ابن خلدون ص 67

الخاتمة

كثيرة هي القضايا التي اختلف فيها العلماء والفقهاء والمحدثون وذهبوا في ذلك مذاهب عديدة ،ونحن في هذا البحث لا نجزم بالإجماع أو ندعي أن الحق حليفنا ولا نرمي مخالفنا بالباطل وإنما نرعى له حق الخلاف ونعذره فيما ذهب إليه، وساحة الإسلام وسماحته أوسع من أن نرمي بعضنا بالتبديع في مسألة غاية الأمر فيها أنها خلافية .

وغاية جهدي وأملي من هذه الرسالة المتواضعة التخلق بأدب الخلاف مع حسن الظن بالمخالف فعلى طالب العلم ومريد الحق والإنصاف أن يتريث في إصدار الأحكام فرب أمر كان يحسبه مرجوحا ولكن عند التحقيق يتبين أنه راجح وفي هذا يقول ابن القيم في مدارج السالكين << لا تعجل بإنكار مالم تحط بعلمه فضلا عن ذوق حاله وأعط القوس باريها وخلَ المطايا وحاديها فلو انصفت لعرفت >> ، وعلى طالب العلم ومريد الحق أن يسلم ولا يعارض الكبار خاصة في المسائل الفرعية وفي هذا يقول الإمام الشاطبي << عهد بالتجربة من أن الإعتراض على الكبراء قاض بامتناع الفائدة >>.

هذا وإن يقيني في الأمة يتضاعف فهي مظهر الرحمة والتآلف والصبر وأنها على خطى الكليم في الثقة بالله تعالى وذلك حين غدا يطلب النار فوجد النور .

ثم إن هذا الجهد المتواضع في هذه الرسالة البسيطة لن يخلو من عيوب ونقائص ذلك لأنه جهد بشري ولن يعبر أحدنا عن بشريته إلا بالخطأ يقول الحافظ المزني تلميذ الإمام الشافعي :قرأت الرسالة على الإمام الشافعي ثمانين مرة فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ فقال الشافعي : هيه أبى الله أن يكون كتابا صحيحا غير كتابه .

وقال الشاعر :

كم من كتاب قد تصفحته ..... وقلت في نفسي أصلحته

حتى إذا طالعته ثانيـــا ..... وجدت تصحيفا فصححته

هذا ونسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والصلاح وما كان فيه من حق وصواب فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا .

المصادر والمراجع

1/ القرآن الكريم

2/ الحديث الشريف

- صحيح البخاري

- صحيح مسلم

- سنن ابن ماجة

- سنن الترمذي

- مسند أحمد

- معجم الطبراني

3/ التفسير

- تفسير الطبري

- تفسير روح البيان

ـ حاشية الصاوي على الجلالين

4/ الفقه الإسلامي

ـ كتاب المدخل لإبن الحاج

ـ الموافقات للشاطبي

ـ العقد في الفقه الإسلامي دكتور عباس حسني

ـ الدر الثمين للميارة

5/ كتب الطبقات

ـ الدرر الكامنة لإبن حجر

ـ الضوء اللامع للسخاوي

ـ سير الأعلام للذهبي

ـ الطبقات الكبرى للشعراني

ـ الديباج المذهب لإبن فرحون

ـ شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف

- البدر الطالع للشوكاني

- الوافي في الوفيات للعلامة الصفدي

- حسن المحاضرة للسيوطي

- الأعلام للزركلي

6/ كتب اللغة

- لسان العرب لإبن منظور

- المعجم العربي الأساسي

- المفردات للراغب الأصفهاني

- النهاية لإبن الأثير

- التعريفات للجورجاني

7/ مراجع أخرى

- اليقين لإبن أبي الدنيا

- أيها الولد للغزالي

ـ عوارف المعارف للسهروردي

ـ الأنوار القدسية للشعراني

ـ الفتوحات الربانية ابن علان الصديقي

ـ تأييد الحقيقة العلية السيوطي

ـ مناقب الأسد الغالب إبن الجزري

ـ المقدمة لإبن خلدون

ـ شفاء السائل لإبن خلدون

ـ المنهج الأحمد للمعلمي

ـ الإعتصام للشاطبي

ـ الإبريز لإبن المبارك

ـ المباحث الأصلية السرقسطي

ـ تربيتنا الروحية سعيد حوى

ـ غذاء العبودية سعيد حوى

ـ مذكرات الدعوة والداعية حسن البنا

ـ الشريعة والطريقة للكاندهلوي

ـ رجال الفكر للندوي

ـ العهد والميثاق ناصر بن سليمان العمر

ـ التصوف الإسلامي بن بريكة

ـ نظرات في التصوف محمد القهوجي

ـ الإنتصار محمد الزمزمي

ـ العهد والبيعة عدنان علي رضا النحوي

ـ الفكر السياسي صلاح الدين البسيوني

الفهرس